مجلة الإحياء، المجلد: 23، العدد: 32، جانفي 2023، ص - ص: 403 – 418
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

أساليب التّربية عند الشّيخ محمّد عبدَه

Techniques of education for Mohamed Abdou

طالب دكتوراه ميلـود قرفـة[1] **أ.د/ صالـح زنداقـي**
كلية العلوم الإسلامية - جامعة باتنة 1
مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر: تاريخها، مصادرها، أعلامها
miloud.guerfa@univ-batna.dz salahmohz2014@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/07/25 **تاريخ القبول: 2022/10/05**

الملخص:
تهدف الدّراسة إلى إبراز أهمّ أساليب التّربية عند الشّيخ محمّد عبدَه مِنْ خلال أدبياته المجموعة في تاريخ الأستاذ الإمام لتلميذه محمّد رشيد رضا، وفي الأعمال الكاملة التي جمعها المحقق محمّد عمارة، وكذا مِنْ خلال عمله الميداني في مزاولة رسالة التّربية والإصلاح.
وقد حاول الباحث تتبّع وتقصّي الأساليب التّربوية التي اعتمدها في إصلاحاته لاستثمارها في العمل التّربوي.
لتخلص الدّراسة إلى أنّه استلهم هذه الأساليب مِنْ تجارب المصلحين السّابقين، جاعلا مِنَ الشّريعة الإسلامية مرجعه الأساس في التّربية، دون أنْ يُغفل أساليب التّربية التي أقرّها علم التّربية الحديث في هذا الجانب؛ فاستطاع بتوظيفها أنْ يحقق قدرا محترما مِنَ الإصلاح التّربوي في المجتمع الذي خدم به بلده والأمّة الإسلامية والإنسانية جمعاء.
الكلمات المفتاحية: الأساليب؛ التّربية؛ الإصلاح.

Abstract:

This study aims at showing the main educational techniques used by Mohamed Abdou in his work in vein as a messenger of education and renovation, in which he relied on the method of induction in using these educational features within his educational work.

For so, the study summarizes the fact that Mohamed Abdou has inspired these techniques from the experiences of some former renovators basing on Islamic law as a major reference in his study.

Without neglecting in turn the recent educational features claimed by modern Pedagogy, as a result, he succeeded in realizing a great deal of educational renovation which serves humanity and the Islamic nation in particular.
Key words: techniques; education; renovation.

مقدّمة:

[1]- المرسل المؤلف.

إنّ الإصلاح التّربوي الذي قام به الشّيخ محمّد عبدَه (1849/1905م)، جعله يستفرغ كلّ جهوده الفكرية والبدنية لتربية الإنسان وتوعيته وتهيئته لتحمّل رسالة الإصلاح والتّغيير وتجسيدها على أرض الواقع، والقيام بواجب التّعمير والاستخلاف في الأرض، فتوجَّه إلى المؤسّسات المصرية التّربوية والدّينية والقضائية، واستهدف مِنْ خلالها مختلف شرائح المجتمع، فوظّف كلّ الأساليب والطّرق والوسائل المشروعة المتاحة لديه لتربية أمّته وتعليمها، وجعلها تتفاعل مع واقعها ومستجدّات عصرها، وحتّى تستطيع الحفاظ على هويتها، وحماية مصالحها، وفي هذا السياق نطرح الإشكالية الآتية:

ما هي الأساليب التّربوية التي وظّفها الشّيخ محمّد عبدَه في إصلاحاته؟

ويتفرّع عن الإشكالية التّساؤلات الفرعية الآتية:

أ- ما مكانة التّربية وأثرها في إصلاح الأمّة؟

ب- وما أساليب التّربية الشّرعية التي اعتمدها الشّيخ محمّد عبدَه لتحقيق إصلاحاته التّربوية؟

ج- وما أساليب علم التّربية المعاصرة التي وظّفها في إصلاحاته التّربوية؟

وللإجابة عن إشكالية الدّراسة والأسئلة المتفرّعة عنها اتّبعت الخطّة الآتية:

مقدّمة

المبحث الأوّل: تحديد مفاهيم الدّراسة.

المبحث الثّاني: مكانة التّربية وأثرها في إصلاح الأمّة.

المبحث الثّالث: أهمّ أساليب التّربية الشّرعية التي اعتمدها الشّيخ محمّد عبدَه في إصلاحاته التّربوية.

المبحث الرّابع: أهمّ أساليب علم التّربية المعاصرة التي وظّفها في الإصلاح.

الخاتمة

المبحث الأوّل: تحديد مفاهيم الدّراسة:

1- مفهوم الأسلوب:

أ- الأسلوب لغة: مأخوذ مِنْ (سَلَبَ) والسّين واللّام والباء أصل واحد[1]، يقَال للسّطر مِنَ النّخل ولكلّ طريق ممتد أسلوبٌ، وهو: الوجه والطّريق والمذهب، وقيل هو: الفنّ، فيقال: أخذ فلان في أساليبَ مِنَ القول:أي أفانين منه[2]، ويقَال سَلَكْتُ أسلوب فلان في الكتَابة، أي سَلَكْتُ طَريقَته ومذهبه فيها [3].

وبناء على ما سبق فإنّ للأسلوب إطلاقات عديدة في معاجم اللغة العربية؛ فيطْلَقُ على الطّريق والفنّ والوجهِ والمذهبِ والمنهجِ، وعلى طريقة المتكلّم في الكلام، وعلى طريقة العامل والمدرّس والمصلح والدّاعي في عمله.

ب- الأسلوب اصطلاحا: له تعريفات عديدة منها أنّه: الطّرائق والكيفيات والمناهج التّربوية الشّرعية التي يستخدمها المربِّي لتنشئة المتربِّين تنشئة صالحة على ضوء ما جاء في المنهج النّبوي، ومعالجة أخطائهم ليتوصّل بها إلى أهداف ومقاصد التّربية الإسلامية السّامية [4].

وبالتالي يمكن القول بأنّ الأسلوب: هو منهجٌ في التّفكير أو البحث أو العمل التّربوي، يسلكه القائم بالعملية التّربوية لتقويم أفكار وسلوكات المتربِّين حتّى يكونوا صالحين في أنفسهم مصلحين لغيرهم في المجتمع والأمّة عموما.

2- مفهوم التّربية:

أ- التّربية في اللغة: مشتقة مِنَ الفعل رَبَبَ، والرّبُّ: هو الله عز وجل، ورَبُّ كل شيء: مالكُه، ويطلق الرَّبُّ على المالك والسّيّد والمدبّر والمربِّي والقيِّم والمُنْعِم، والمُصْلِح، ورَبَّ الشّيءَ إذا أصلحه، ورَبَّ وَلَدَهُ

يَرُبُّهُ رَبًّا تَرْبِيبًا وتَرِبَّةً بمعنى رَبَّاهُ، وفي الحديث: ‹‹هَلْ لَكَ عَلَيْهِ نِعْمَةً تَرُبُّهَا» [أخرجه مسلم][5] أي تحفظها وتراعيها وتُرَبِّيهَا كما يُربِّي الرّجل ولدَه، وتَرَبَّبَه وارْتَبَّه ورَبَّاه تَرْبِيَةً: أحسن القيام عليه، ووليه حتى يفارق الطفولية[6]، فكلمة التّربية تحمل معاني الزّيادة والرّعاية والإصْلاح والسّياسة والتّدبير والتّنمية لأمور الخَلْق[7].

ب- التّربية في الاصطلاح: هي حاصل العمليات والسُّبل التي ينقل بها مجتمع ما سواء أكان صغيرا أم كبيرا قوته المكتسبة وأهدافه بقصد ضمان استمرار وجوده ونموه، وكذا تنمية القدرات الفطرية الكامنة في الإنسان [8].

وتعني تكوين الإنسان ليكون صالحا عقديا وأخلاقيا وسلوكيا وتنظيم علاقاته، لإشاعة معاني الرّحمة والمودّة والحبّ والعدل والوفاء والحقّ وغيرها مِنَ القيم السامية بين أفراد المجتمع[9]، وعرّفت بأنّها: مجموعة مِنَ التّطبيقات التّربوية التي تساعد على بناء الإنسان شيئا فشيئا مِنْ جميع النّواحي وفق المبادئ والقيم التي جاء بها الإسلام وصولا إلى الكمال البشري [10].

وعرّفها الشّيخ محمّد عبدَه بقوله: "التّربية هي عبارة عن اتّباع الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون مِنَ الأحكام والحِكَمِ والتّعاليم، وهي عبارة عن السّعادة الحقيقية، تُعلِّمُ الإنسانَ الصّدق والأمانة وحُبَّ نفسه، فإذا تربّى الإنسانُ أحبَّ نفسَه لأجل أنْ يحبّ غيره، وأحبَّ غيره لأجل أنْ يحبَّ نفسه" [11].

وهذا الذي يتقاطع مع ما تُنادي به التّربية الحديثة التي تُعْنَى بتربية جميع جوانب الشّخصية الإنسانية؛ جسميا وعقليا وعاطفيا واجتماعيا وخُلقيا، لذا ينبغي أنْ تكون التّربية عملية شاملة متكاملة، لأنّ نُمُوَّ الإنسان يتمّ بطريقة متكاملة مِنَ النّواحي البدنية والعقلية والنفسية في آن واحد [12].

ج- أساليب التّربية: وعليه يمكن أنْ نخلص إلى المفهوم الإجرائي للدّراسة، بأنّ المراد بأساليب التّربية باعتبارها مركبا إضافيا عند الشّيخ محمّد عبدَه: هي تلك الطّرائق والكيفيات التي تَتَبَّعَهَا في تنشئة فئات المجتمع ورعايتها وتعهّدها بالتّربية والتّعليم والتّكوين تكوينا كاملا؛ جسميا ونفسيا وعقليا وروحيا واعتقاديا واجتماعيا وإداريا مِنَ الولادة إلى الوفاة، وتهيئتها لتحمّل مسؤوليات الحياة المختلفة، حتّى تكون صالحة في نفسها ومصلحة لغيرها في المجتمع والأمّة والعالم أجمع، وتساهم في تعمير الأرض، وتحقيق الاستخلاف، ونيل رضوان الله تعالى والسّعادة في الدّنيا والآخرة.

المبحث الثّاني: مكانة التّربية وأثرها في الأمّة

لقد اهتمّ الإسلام بالتّربيةَ وجعل لها مكانة عالية، واعتنى بتربية الإنسان الذي وضع له منهجا شاملا متكاملا لتربيته جسميا ووجدانيا وروحيا وعقليا وتنشئته منذ الصّغر وتوجيهه نحو الخير والصّلاح لعبادة الله وحده [13].

مكث النّبيّ ق في مكّة أكثر مِنْ عِقْدٍ يربِّي أصحابه على الإسلام؛ لتتخرّج على يديه ثلّة مثالية مِنَ الصّحابة، لذا يجب على المربّين تَمَثُّلِ أساليبه التّربوية للنّهوض بالأمّة وتحقيق النّجاح وتجسيد مقاصد التّربية السّامية [14].

والإسلام أوجب على الإنسان طلب العلم لِمَا رُوِيَ عن أنس س أنّ الرّسول ق قال: ‹‹طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» [أخرجه ابن ماجه][15]، ودعا إلى تقدير المعلّم والمتعلِّم لكونهما مِنْ أعمدة التّربية والتّعليم فقال ق:‹‹وَإِنَّ المَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَفْعَلُ»[أخرجه ابن ماجه] [16].

ولمّا كان المعلّم يساهم في تحقيق الأهداف التّربوية، تزايد الاهتمام بإعداده وتكوينه علميا وأكاديميا ومهنيا ونفسيا واجتماعيا، وتأهيله وتطوير مستوى أدائه التّربوي، الذي صار مطلبا أساسيا، حتّى يتعرّف

على مُدْخَلَات العملية التّربوية ويحوّلها إلى مهارات تعليمية، وحتّى يتسنّى له تجسيد تربيةٍ سليمةٍ على هدي الإسلام وإصلاح الأمّة وتأهيلها لمواجهة تحديات العصر [17].

لذلك اجتهد الشّيخ محمّد عبدَه في انتهاج الأساليب التّربوية المساعدة على تجسيد إصلاحاته، والتي جمع فيها بين الشّريعة الإسلامية وموروث أمّته الأصيل، وخبرات الأمم المتناغمة مع روح الشّريعة الإسلامية، فطبَّقها لإصلاح المؤسّسات التّربوية والدّينية والقضائية، ووضع ما يناسبها مِنْ برامج ومقرّرات لتكوين معلّمين أكْفاء مؤهّلين لتجسيدها واقعيا، ولصدّ الهجمات الغربية المغرضة الرّامية إلى طمس هويّة الأمّة العربية والإسلامية.

كما تتجلّى أهمية اتّباع الأساليب الصّحيحة في التّربية؛ في الآثار الإيجابية التي تترتّب عليها، لأنّ التّربية السّليمة تعود على الأفراد والجماعات بفوائد كثيرة؛ فينمو العقل ويتطوّر الفكر ويرتقي مستواهم العلمي، وتتمتّن بينهم الرّوابط والعلاقات، وتتحقّق طموحاتهم، وتُلبَّى حاجاتهم، وتُحَلّ مشكلاتهم، ويشعرون بالأمان والاطمئنان، ويساهمون في تقدّم وتطوير أمّتهم.

المبحث الثّالث: أساليب التّربية الشّرعية التي اعتمدها الشّيخ في الإصلاح

لأساليب التّربية الشّرعية ارتباط وثيق بالعملية التّربوية، فبها تغرس القيم الإسلامية في النّاشئة، وبها يُعدّل تفكيرهم وتُقوَّم سلوكاتهم وتنتظم حياتهم.

وهذه الأساليب ينبغي أنْ تكون متكاملة ومناسبة للمتربِّين حتّى يكونوا صالحين مصلحين، وقادرين على النّهوض بأمّتهم والارتقاء بها إلى مصافّ الأمم المتطوّرة، مِنْ تلك الأساليب؛ التّربية بالقدوة الحسنة والموعظة والتّرغيب والتّرهيب والثّواب والعقاب وضرب الأمثال والقصّة، والتّربية بالمحاضرة، وبالحوار والمناظرة [18]، فإذا اعتُمدت هذه الأساليب وغيرها ورُوعيت الفروق الفردية والقدرات العقلية لهم، ولُقِّنوا العلوم النافعة؛ سيتحقّق صلاحهم[19]، وفيما يلي استعراض لأهمّ أساليب التّربية الشّرعية التي اعتمدها الشّيخ محمّد عبدَه:

1- التّربية بالقدوة الحسنة: إنّ التّربية بالقدوة أسلوب تربوي شرعي، يستطيع المربِّي القدوةُ أنْ يحقّق به الأهدافَ التّربوية المرجوّةَ، لذا جعل اللهُ الرّسولَ ق قدوة حسنة فقال في كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21].

فعلى المربّين أنْ يكونوا قدوة حسنة للنّاس في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم، حتّى تنطبع في نفوس المتربِّين القيم الإسلامية السّامية، ويجسِّدون مبادئ الشّريعة الإسلامية السّمحة للنّهوض بالمجتمع والأمّة عامّة [20].

وتتجلّى أهمّية التّربية بالقدوة في تربية النّفوس في المراحل الأولى مِنَ الحياة، فهذا الأسلوب يجعل المقتدين يتشبّهون بمربّيهم، لذلك جعل القرآنُ الكريم الرّسولَ ق قدوة المسلمين نظرا للكمالات البشرية التي حظي بها [21].

والنّظام التّربوي الإسلامي يعتمد على أسلوب التّربية بالقدوة الصّالحة لتكوين الشّخصية السّوية، فقد كان الرّسول ق قدوة المسلمين ومثلهم الأعلى لامتثاله للقرآن الكريم ولتطبيقه لأحكامه، فقد سئلت أمّ المؤمنين عائشة ك عنْ خُلُقِه ق فقالت: «كَانَ خُلُقُهُ القُرْآن» [أخرجه أحمد في مسنده] [22].

وقد جعل الشّيخ محمّد عبدَه الرّسولَ ق قدوته في التّربية، فبعودته مِنَ المنفى إلى مصر، ترك الاشتغال بالسّياسة التي سُجن ونُفِي بسببها لمشاركته في الثّورة العُرابية، كما مُنع مِنَ التّدريس وأبعد عنه بتعيينه قاضيا في أحد أرياف مصر خلافا لرغبته خَشيةَ تأثيره على الطّلبة بدعوتهم للتّحرّر مِنَ الجهل

والاستبداد[23]، لكنّه بعدما استتبَّ له الأمر وتقلّد المناصب السّامية؛ توجّه إلى إصلاح مقرّرات ومناهج المؤسّسات التّربوية والدّينية، وعكف على تربية النّاشئة وإعدادها لتحمّل مسؤولية النّهوض بالمجتمع، فسلك هذا السّبيل حتّى يقتدوا بسيرته ويسيروا على نهجه، وقد ظهر ذلك جليا في المجالس التي حضرها في قصر الأميرة نازلي هانم فاضل التي كان يتحفّظ على خوضها في السّياسة وينتقد اشتغالها بها، ويدعوها إلى تعليم المرأة وإنشاء الجمعيات النّسوية والمؤسّسات التّعليمية لتوعيتها بمهامها التّربوية، داعيا إياها إلى الاقتداء به في التّربية فقال: "وهذه الأميرة قادرة على تأسيس عمل يفيد تهذيب البنات، فإنّ مَنْ حولها مِنَ الأميرات ينفقن نفقات كبيرة إسرافا وتبذيرا، ولو أنّها حملتهنّ وأمثالهنّ مِنَ النّساء الغنيّات على إنشاء مدرسة لتربية البنات وتعليمهنّ، وطالما ذاكرتها بهذا المعنى وخَطَّأْتُها في الاشتغال بالسّياسة وكان يسوءها هذا منّي، وأنا لا أجاريها في أحاديثها في السّياسة فتغضب" [24].

كما تحفّظ على أستاذه جمال الدّين الأفغاني الذي أفرط في الاشتغال بالسّياسة على حساب التّربية والتّعليم، فهو يرى بأنّه بتربية المصريين سيتحرّرون مِنَ الاستبداد الدّاخلي والاستعمار الخارجي، ولمّا نصحه بترك السّياسة وصفه بالجُبْنِ وعنّفه وقال له: "لا تكن صبيا هلوعا"[25]، ممّا حدا بالشّيخ محمّد عبدَه إلى انتقاد أستاذه الأفغاني قائلا: "إنّي أعجب لجعل نبهاء المسلمين وجرائدهم كلّ همّهم في السّياسة، وإهمالهم أمر التّربية الذي هو كلّ شيء، عليه يبنى كلّ شيء، إنّ السيّد جمال الدّين كان صاحب اقتدار عجيب لو صرفه ووجّهه للتّعليم والتّربية لأفاد الإسلام أكبر فائدة، وقد عَرضتُ عليه أنْ نترك السّياسة ونذهب إلى مكان بعيد عن مراقبة الحكومات، ونُعلّم ونربّي مَنْ نختار مِنَ التّلاميذ على مشربنا، فقال: إنّما أنت مثبِّط". [26]

فالتّربية بالنّسبة للشّيخ تعتبر مسلكا آمنا لتنفيذ إصلاحاته التّربوية، خصوصا وأنّه يمتلك كفاءة عالية ومؤهّلات تربوية وتعليمية كبيرة تمكّنه مِنْ تجسيدها، لذلك ابتعد عن السّياسة وانتقد المبالغين في الاشتغال بها، ودعاهم إلى الاهتمام بالتّربية والتّعليم [27].

لقد اتّبع الشّيخ محمّد عبدَه هذا الأسلوب التّربوي مع النّخب والسّاسة، حتّى يقتدي به التّلاميذ وطلبة العلم ومريدوه وكلّ مَنْ اقتنع بمنهجه التّربوي.

2- التّربية بالعِبْرة والموعظة الحسنة: إنّ الكثير مِنَ القصص القرآني والهدي النّبوي يدعو إلى العظة والاعتبار، وتوخّي الأهداف التي تُربّي على الأخلاق الفاضلة والقيم السّامية، لذلك على المربّين تربية التّلاميذ على التّأمل في آيات الله الكونية، ومناقشتهم لتعميق الإيمان بالله وتوحيده، وتدريسهم الأحداث التّاريخية الواردة في القرآن الكريم، وتعريفهم بسنن الله الكونية في إهلاك المفسدين ونصر المؤمنين.

والتّربية تكون ببيان الحق للمتربّين وتوجيههم؛ لتجنيبهم ما يضرّ بهم وإرشادهم إلى ما ينفعهم، لأنّ الموعظة المؤثّرة تَنْفُذُ إلى الوجدان، وتوقظ العواطف وتُربّيها وتنمّيها في نفوسهم، حتّى يسيروا وفق أقوم المناهج [28].

ومادام الإنسان له قابلية التّأثّر بالمواعظ، ينبغي تَكرارها معه حتى يتربَّى ويصلح، ولمّا كانت الذّكرى تنفع المؤمنين، وجب على المربّين سلوك الأساليب المناسبة في تَخَوُّلِهم بالموعظة الحسنة لقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النّحل: 125][29]، وتربيتهم على الخير، ودعوتهم إليه، ونهيهم عن الشّر، وتنمية القيم الإسلامية والأخلاق الفاضلة في نفوسهم، اقتداء به ق[30]، لقوله: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» [سنن البيهقي] [31].

وقد وظّف الشّيخ محمّد عبدَه هذا الأسلوب التّربوي، بهدف خدمة أمّته وتحقيق النّفع لها لمجابهة ما قد يلقاه مِنْ مواقف معادية ومعرقلة مِنَ الخديوي أو مِنْ قِبلِ سلطة الاحتلال الإنجليزي أو مِنْ طرف شيوخ

الأزهر المعروفين بالتّقليد والجمود، فكانت مواقفه وردود أفعاله رسائل موجّهة لتلامذته وطلبته ومريديه ليأخذوا منها العِبَرَ والعظات ويستثمروها في إصلاح شؤون أمّتهم.

فلمّا عُيِّن الشّيخ محمّد عبدَه مفتيا لمصر، أخذ يطمح إلى مشيخة الأزهر لإصلاحه وإصلاح التّعليم وتحقيق التّربية السّليمة، لثقته في نفسه بأنّه قادر على خدمة أمّته مِنْ هذا المنصب، فوجّه بهذا رسالة إلى خاصّة أمّته حتّى يُسَخِّروا مناصبهم لخدمة دينهم ووطنهم لا للشُّهرة والجاه وخدمة مصالحهم الخاصّة.

لكنّ الخديوي عباس أسند المشيخة إلى شيوخ الأزهر المقلّدين الرّافضين للإصلاحَ كالشّيخ عبد الرّحمان النّواوي وسليم البِشْري، فأحسّ الشّيخ محمّد عبدَه بأنّه غير مرغوب فيه، وساءت علاقته به خصوصا لمّا رفض مَنْحَ الكِساوى التّشريفية لغير مستحقِّيها مِنْ معارف الخديوي، فغضب منه وأخذ يحيك ضدّه الدّسائس وهمَّ بعَزْلِهِ مِنَ الإفتاء، لولا رفض اللورد كرومر ذلك [32].

وحتّى يتمكّنوا مِنْ عزله؛ أخذوا يلفّقون له التّهم ويُشِيعُون عنه الأكاذيب، ونشروا له صورا ملفّقة مع نساء الفرنسيين لتشويه سمعته، وأغروا كرومر بعزله، لكنّه رفض قائلا: "إنّ هذه الصّورة لا يثبت لها عندي أصل"، ودعَّمه بقوله: "إنّ الشّيخ محمّد عبدَه مفتيا ما ظلّت بريطانيا العظمى محتلة لها" [33].

لقد وطّد الشّيخ محمّد عبدَه علاقته مع سلطة الاحتلال الإنجليزي حتّى يبقى في منصبه ويخدم دينه ووطنه وأمّته ويجسِّد مشروعه التّربوي، فلم يكن أسلوبه ذلك عفويا، وإنّما اتّبعه ليقوِّيَ به مواقفه ويعزّزها، وليفتح أعين النّاشئة وطلبة العلم وروّاد الإصلاح على سبل تحقيق إصلاحاته التّربوية، فيأخذون العِبر والعظات مِنْ منهجه في التّربية لتحقيق النّهضة لأمّتهم.

3- التّربية بالحوار والخَطابة والسّؤال: استعمل القرآن الكريم والسنّة النّبوية الحوار كثيرا؛ لكونه أسلوبا تربويا مُهِمّا، يسمح للمتحاورين بإبداء وجهات النّظر وطرح الآراء وتلاقح الأفكار، وتصحيح المفاهيم وحلّ المشكلات، وإكساب النّفس الثّقة وعلاج عيوب النّطق والكلام، والزّيادة في الثّقافة، وإكسابها آداب حسن الاستماع والمحادثة، وتنمية مهارة التّفكير بالاحتكاك بأهل العلم، ومساعدة المعلّمَين المربّين على تنفيذ طرائق التّدريس النّاجعة، وتنمية الفهم والتّحليل لدى المتعلّمين، وتنشيط قدراتهم العقلية، لزيادة معارفهم والتّقليل مِنْ خلافاتهم الاجتماعية، وتحقيق التّرابط فيما بينهم، ومعالجة أمراضهم النّفسية، بمشاركة الأفراد أُسَرَهم والتّلاميذ زملاءَهم ومعلّميهم، فيذهب عنهم الخوف وتنطلق ألسنتهم بالكلام [34].

فاستعمال أسلوبي الحوار والإلقاء في التّدريس، يعتبران مِنْ أرقى أساليب التّربية في التّعليم، وقد استعملهما النّبي ق في تربية أمّته، فاستخدم الطّريقة الإلقائية في خُطَبِ الجمعة والعيدين والاستسقاء والحج، واستخدم الطّريقة الحوارية في حِلَق العلم بطرح السّؤال وتلقِّي الجواب، فكان تارة يقول اسألوني ويجيب عن أسئلتهم، وتارة يسأل وينتظر جوابهم ليثير فيهم حُبَّ البحث والفهم، وتارة يسأل ولا ينتظر الجواب فيجيب ليثير انتباههم إلى الجواب كما في حديث عبد الله بن عمر م أنّ رسول الله ق قال: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟»، فوقع النّاس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنّها النّخلة، فاستحييت، ثمّ قالوا: حدِّثْنا ما هي يا رسول الله، قال فقال: «هِيَ النَّخْلَة» قال: فذكرت ذلك لعمر، قال: لَأَنْ تكون قلتَ هي النّخلة أحبّ إلي مِنْ كذا وكذا"[أخرجه مسلم][35]، فالإلقاء والتّلقين والمحاورة والإملاء؛ أساليب تربوية لصيقة بمفهوم التّعليم [36].

وكمثال عن الأسئلة التي طرحها النّبي ق على أصحابه قوله: «أَتَدْرُونَ مَا المُفْلِس» [أخرجه مسلم][37]، والذي يستفاد مِنَ الحديث أنّ العالِمَ يسأل المتعلّمين لتوجيههم وتنبيههم إلى مراد الشّارع، والرّسول ق وَجَّهَ أسئلته لأصحابه حتّى يعلّمَهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويربيهم على عبادة الله تعالى.

وقد كان لهذا الأسلوب حضور كبير في مسيرة الشّيخ محمّد عبدَه التّربوية، مِنْ ذلك أنّه كان يقوم بزيارات كثيرة ومتكرّرة لمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، وكان في كلّ زيارة يقيم احتفالا يلقي فيه خُطبا بمناسبة الزّيارة، ويقوم بتوجيه أسئلة شفوية للتلاميذ يختبر فيها فهومهم ومستواهم ومدى استيعابهم لما قُدِّم لهم، كما كان يجلس إليهم ويحاورهم ويناقشهم فيما تلقّوه مِنْ علوم ومعارف[38]، بل ويأمرهم بحلّ المسائل وتحديد مواقع الدّول في مقياس تقويم البلدان -الجغرافيا- بحضور مرافقين له من إطارات التّربية.

ففي مساء يوم الجمعة 16 ربيع الأول سنة1319هـ/1898م ترأّس الشّيخ محمّد عبدَه احتفالا بمناسبة امتحان تلامذة الجمعية الخيرية الإسلامية في مصر حضره العلماء والوجهاء، فامتحن تلامذتها في الإعراب والحساب، وطلب مِنْ أحدهم رسم خارطة أوروبا وبيان عواصمها وسأله هل خطر له أنْ تسافر إليها، وطلب منه أنْ يبيّن له خطّة السّفر مِنَ القاهرة إلى باريس فبيّنها له بدقّة[39].

وكان كثيرا ما يلقي خطبا مرتجلة خصوصا عند زيارته لمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية، كذلك الخطاب الذي ألقاه في إحدى احتفالات مدارس الجمعية جاء فيه: "فأوّل عمل يجب أنْ يذكر فيشكر، ويشهّر بين العالمين ويُنشر؛ إنشاء هذه المدارس رحمة بأبناء الفقراء، وانتياشا لهم مِنْ وهدة الشّقاء، وتعهّدِهِم بالتّربية الحميدة، وتثقيف عقولهم بالعلوم المفيدة، حتّى يشبّوا على حبّ العمل، والاعتماد على الله ثمّ على النّفس في بلوغ الأمل"[40].

وخطب مبيّنا الغرض مِنَ التّعليم الابتدائي فقال: "المدرسة تعلّم المبتدئين القراءة والخطّ والحساب ومبادئ العربية، وتُرَبِّيهم على الأعمال الدّينية والأدبية، تُعِدُّهم بذلك للعِيشة الصّالحة في أنفسهم ومع النّاس الذين يعيشون معهم، وهذه المبادئ لا يستغني عنها إنسانٌ فقيرًا كان أو غنيًا"[41].

المبحث الرّابع: أساليب علم التّربية المعاصرة التي وظّفها الشيخ محمّد عبدَه

بعد ذكر أهمّ أساليب التّربية الشّرعية التي اعتمدها الشّيخ محمّد عبدَه في إصلاح أطياف المجتمع، وتوعيتهم بأداء واجباتهم، وتوجيههم لتمثّلها عمليا لإقامة مجتمع صالح وأمّة راشدة وحضارة راقية، سأذكر أهمّ أساليب التّربية التي أقرّها علم التّربية الحديث واعتمدها الشّيخ محمّد عبدَه في منهجه التّربوي للنّهوض بأمّته والارتقاء بها إلى مصاف الأمم المتطوّرة؛ مِنْ ذلك:

1- التّربية بالمكافأة للتّحفيز على طلب العلم: اهتمّ الشّيخ محمّد عبدَه كثيرا بالتّربية، ومارسها بالتّدريس في العديد مِنَ المؤسّسات التّربوية والدّينية، فدرّس في دار العلوم ومدرسة الألسن والأزهر بمصر، ودرّس في المدرسة السّلطانية ببيروت، كما سعى لإقامة صروح علمية، وأنشأ الجمعيات وشارك في النّوادي والجلسات الأخوية، كلّ ذلك لأجل تجسيد أفكاره التّربوية وإشاعتها في المجتمع والأمّة عموما.

والمقصود بالمكافأة هو مقابلة الإحسان بمثله أو زيادة[42]، فقد كان الشّيخ محمّد عبدَه يحفِّز الجادّين والمتقنين لأعمالهم، ويشجّعهم ويكافئهم عليها حتّى يحسّنوا منها، ويواصلوا على سيرتهم في النّظام والانضباط.

لمّا أعدّ الشّيخ محمّد عبدَه العُدّة لإنشاء معهد ديني بالإسكندرية، وحضّر له الميزانية، وعَرَضَ الأمر على الخديوي عباس الثّاني، أقرّه على مشروعه ووافق على فكرته واختار له جامع أبي العبّاس مكانا للتّدريس، فاستقبل المعهدُ الطلابَ بعد امتحانهم، وأَمَّهُ النَّشْءُ مِنْ كل صوب، فأذكى الشّيخُ في المعهد نهضة علمية، وبثَّ في الطّلاب روح الجدّ والمثابرة، وشحذ عزيمتهم، وربّاهم وأساتذتهم على النّظام والانضباط، وشَرَعَ في إلقاء الدّروس وِفْقَ المنهاج الذي وضعه لهم، كما كان يقيم في المعهد في ختام كلّ عام دراسي حفلا يمنح فيه الجوائز للنّاجحين يقدّمها لهم نائب الخديوي أو رئيس مجلس النُّظَّار لتشجيع الطلّاب وشحذ

عزائمهم على تمثّل التّربية الإسلامية وتلقّي العلوم[43]، وهو ما أكّد عليه محمّد رشيد رضا الذي ذكر بأنّ شّيخه محمّد عبدَه كان يختم خطبه الاحتفالية بتوزيع الجوائز على نجباء مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية[44].

ففي إحدى احتفالات الجمعية الخيرية بمدارسها، سأل المعلّمون تلامذتهم بحضرة الشّيخ محمّد عبدَه أسئلة في العقيدة والنّحو والهندسة وتقويم البلدان وعلوم القرآن والخَطابة، فكانت إجاباتهم صحيحة، دلّت على مستواهم الجيّد فشجّعهم وهَنّأهم وكافأهم الشّيخ بجوائز مالية قيّمة مكافأة لهم على الاجتهاد، وتحفيزا لهم على مواصلة طلب العلم لتطوير قدراتهم وزيادة معارفهم [45].

إنّ اتّباع الشّيخ محمّد عبدَه لهذا الأسلوب التّربوي جعله يُخَرِّج جيلا متربِّيا ومربّيا عالي الهمّة مبادرا شجاعا في ولوج مجالات الحياة المختلفة، فكان منهم العلماء والمفكّرون والأدباء والكتّاب والزّعماء السّياسيون أمثال: مصطفى المراغي وسعد زغلول ومصطفى عبد الرّازق وغيرهم كثير.

2- دعوته إلى طلب العلم والتّواضع فيه: كان الشّيخ محمّد عبدَه يحضّ عامّة النّاس وطلبة العلم خصوصا على طلب العلم ويوصيهم بالتّواضع فيه، فأمر رسول الله ق بطلبه وجوبا بقوله: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» [أخرجه ابن ماجه][46]، وفي هذا السّياق ذكر محمّد رشيد رضا بأنّ شيخه محمّد عبدَه قال في آخر حياته: "إنّني لا أزال طالب علم أبتغي المزيد منه في كل يوم"[47]، ذكر ذلك عن نفسه موصيا أمّته بِحَضِّ التّلاميذ على طلب العلم، وحتّى لا يعتقد كبار السنّ بأنّ قطار طلب العلم قد فاتهم، فأسلافنا طلبوه مِنَ المحبرة إلى المقبرة ومِنَ المهد إلى اللّحد.

وفي سياق حضّه على الاستمرار في طلب العلم قال: "ينبغي أنْ يسعى الإنسان إلى طلب العلم والمعرفة واستكناه الحقائق طوال حياته، وأكملُ النّاس علما الذين لا ينقطعون عن طلب العلم طوال حياتهم"[48].

3- التّربية على تَوَلِّي وتحمُّل المسؤولية: مِنْ أساليب التّربية التي اعتمدها الشّيخ محمّد عبدَه في إصلاحاته؛ طلبُه تولِّي المناصب العليا وحضُّ مريديه على ذلك تأسّيا بالنّبي يوسف عليه السّلام كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 55]، فطلب رئاسة مشيخة الأزهر في عهد الخديوي عباس الثّاني[49]، فلم يُلبِّ له طلبه وجعله رئيسا لمجلس إدارته[50]، ونصّبه مفتيا لمصر[51]، كما وُلِّيَ القضاء[52]، وعُيّن عضوا للمجلس الأعلى لديوان الأوقاف[53]، وشغل عضوية مجلس شورى القوانين[54]، وعضوا في المجلس الأعلى للمعارف العمومية[55]، بالإضافة إلى رئاسته تحرير جريدة الوقائع المصرية[56]، وتفاديا للإطالة أوردتُ بعض أساليب الشّيخ التّربوية في منصبي القضاء والإفتاء.

أ- القضـــاء: وظّف الشّيخ محمّد عبدَه القضاء لتربية المجتمع على قيم الإسلام ومبادئه، وبتعيينه مِنَ الخديوي توفيق قاضيا في "بنها" و"المنصورة" وغيرهما[57]، لم يكتف بالفصل بين المتخاصِمِين، وإنّما كان يُصلح بينهم ويعرّفهم بحقوقهم وواجباتهم ويربِّيهم على الحفاظ على حقوق بعضهم حتّى يزيل الضّغينة فيما بينهم، ويغرس فيهم قيم الحبّ والتّآلف، كما سخّره لمحاربة التّصرّفات المشبوهة المنتشرة في المجتمع كاستغلال المناصب العليا، واستعمال الوسائط، وأَخْذِ حقوق الغير بالرّشوة والطّرق غير المشروعة.

لمّا عمل في محكمة عَابْدِين اطمأنّ النّاس إلى قضائه وقالوا بأنّ المحكمة ازدانت به وأنّ الهيبة والجلال فاضت فيها، حتّى وصف أحد المحامين طريقته في القضاء قائلا: "كان محمّد عبدَه يُصدِر الحكم ويُشفعه أو يَسبقه بدروس ومواعظ يلقيها على المحكوم عليه أمام الجمهور إلقاءً يُشعر الجماهير والمحكومَ عليه نفسه أنّهم في حضرة أبٍ أو مصلحٍ كبير" [58].

وربَّى أبناء بلده على قيم التّسامح والتّآلف والتّصالح وقرَّبهم مِنْ بعضهم وأزال البغضاء عنهم بالإصلاح بينهم عملا بقوله تعالى: ﴿والصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النّساء: 128]، وأشرك مجالس القضاء في تربية النّاس إلى جانب المؤسّسات الدّينية والتّعليمية، وعَقَدَ مجالس الصّلح بين المتخاصِمِين قبل الفصل بينهم.

ب- الإفتـــــاء: بتعيين الشّيخَ محمّد عبدَه مفتيا لمصر سنة 1899م[59]، أصدر الخديوي عبّاس الثّاني الكثير مِنَ الفتاوى لتربية أمّته على أصول الإسلام ومبادئه وتوعيتها لإصلاح شؤونها والنّهوض بها، فسلك فيها أساليب تربوية خاصّة، اتّبع فيها التّسلسل المنطقي، ببيان قاعدة المسألة وحكمها، ثمّ تأصيلها بنصوص شرعية مشفوعة بنقول مِنْ كتب الفقهاء، متوخِّيا أسلوب التّيسير ورفع الحرج عن النّاس، مغلّبا العقل على النّقل في بعض المسائل [60].

وتجدر الإشارة إلى أنّ الشّيخ محمّد عبدَه كان جريئا في الردّ على شيوخه الذين لا يتّفق معهم، مِنْ ذلك ردّه على الشّيخ علّيش بشجاعة لمّا اتّهمه بأنّه يرجّح مذهب المعتزلة على مذهب الأشعرية، فردّ عليه محمّد عبدَه: "إذا كنتُ أترك تقليدَ الأشعريِّ فلِمَ أقلِّد المعتزليّ؟! إنّني آخذ بالدّليل ولا أقلّد أحدا" [61].

فكان لأسلوبه هذا مع شيوخه المعروفين بالجمود في إبداء الرّأي في مجالس العلم والإفتاء؛ دعوةٌ لطلبة العلم إلى مناقشة المعلّمين والاستفسار منهم بشجاعة لتحقيق الفهم العميق والفقه الدّقيق للمسائل، وتربيتهم على النّظر في النّصوص للوصول إلى الأحكام الصّائبة والعمل بها، وعدم الرّكون إلى التّقليد.

وقد كان الشّيخ محمّد عبدَه عمليا في منصب الإفتاء الذي لم يَقصِره على الإدارة والتّسيير، حيث فعّله بإصدار الكثير مِنَ الفتاوى المشتملة على مسائل الفقه الإسلامي، جامعا بين الأصالة والمعاصرة والعقل والنّقل، ولمّا كانت فتاويه متنوّعة وثريّة؛ صارت مصادر محفوظة في الخزانة المصرية [62].

فدعا أمّته من خلال تحمُّل مثل هذه المسؤوليات إلى اعتمادها في التّربية، خدمةً دينه ووطنه وأمّته، وداری الاستعمار الإنجليزي واستعان بالسّلطة ليس عمالةً لهما ولا تزلّفا إليهما، وإنّما لتقوية جانبه لتجسيد إصلاحاته التّربوية.

4- إنشاء الجمعيات وتفعيلها: أسّس الشّيخ محمّد عبدَه عدّة جمعيات متّبعا فيها أساليب تربوية عملية لإصلاح المجتمع والنّهوض بالأمّة، فأنشأ الجمعية الخيرية الإسلامية وجمعية المقاصد الخيرية وجمعية المساعي الخيرية وجمعية التّقريب بين الإسلام والمسيحية[63]، وجمعية إحياء الكتب العربية[64]، وكان أهمّها الجمعية الخيرية الإسلامية لتربية صغار الفقراء وتعليمهم، وفيما يلي بيان لأهدافها ومقاصدها.

- الجمعية الخيرية الإسلامية: شارك الشّيخ محمّد عبدَه في تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية سنة 1892م وترأسها سنة 1900م إلى غاية وفاته[65]، وفيها ركّز على تعليم أبناء الفقراء وإكسابهم الحِرَف لإنقاذهم مِنَ الفقر، واستعمل معهم جميع أساليب التّربية لإنجاح التّعليم وتخريج أجيال متعلّمة تحمل همّ بناء الأمّة والنّهوض بها، ففي إحدى احتفالات الجمعية ذكر أهدافها قائلا: "إنّ غرض الجمعية مِنْ تربية هؤلاء الأطفال الفقراء هو تهذيب نفوسهم ومساعدة كلّ واحد منهم على إحياء صناعة والده وترقيتها إلى أنْ يرى نفسه مستعدا لصناعة أعلى منها وأرقى...إنّ الجمعية تساعد بالمال مَنْ يتخرّج مِنْ مدارسها ويشتغل بصناعة والده مدّةَ سنةٍ، وإنّها تُعلّم التّلامذة بأنّهم لوالديهم أوّلا، ثمّ للأقربين، ثمّ للأمّة، وتعلّمهم احترام آبائهم وأمّهاتهم، وتنزع مِنْ نفوسهم الميل على وظائف الحكومة" [66].

فجعل مِنَ الجمعية وعاءً لتجسيد أساليبه في تربية أبناء الفقراء وتهذيبهم، وجَعْلِهم خلفاء لوالديهم ليعاونوهم على متطلّبات الحياة، ولحمايتهم مِنَ الفقر وحتّى لا يكونوا عرضة للاستغلال، وحتّى يخدمون مجتمعهم وأمّتهم ويكونون عاملا مهمّا في المعادلات العلمية والثّقافية والاجتماعية والاقتصادية والسّياسية.

5- تمكين كبار السنّ مِنَ التّربية والتّعليم: اتّبع الشيخ محمّد عبدَه أسلوبا تربويا متميّزا في إصلاحاته، حيث استهدف جميع الفئات العمرية وَمَكَّن كبار السنّ مِنَ التّربية والتّعليم وأقنعهم بأنّ قطار التّعلُّم لم يفتهم، وذلك حينما وقف على عيوب التّربية في عصره، فترجم تذمّره مِنْ أساليبها المتَّبَعَة بوضع استراتيجية عملية شاملة حتّى يتفادى الآثار السّلبية التي انعكست على تربية المجتمع المصري والأمّة الإسلامية جمعاء.

لذلك سعى إلى تربية كبار السنّ وتعليمهم، وعدم جعله حكرا على الصّغار، فتدارك الأمر مطبِّقا قاعدته التّربوية التي اعتبر فيها التّربية أساسٌ لكل شيء عندما قال: "أمر التّربية هو كلّ شيء، وعليه يُبْنَى كلّ شيء" (67).

وقد عمل الشّيخ محمّد عبدَه على نشر التّعليم، وتوسيع فكرة فريضة تعليم كبار السنّ، خصوصا على الذين يتقلّدون المناصب العالية في الحكومة (68).

لقد طالب الشّيخ سنة 1882م بتعميم التّعليم في الأمّة حتّى يساهم الجميع في تسيير شؤونها وتطوير أوضاعها، داعيا الحكومة إلى وضع قانون أساسي لتعميم التّعليم ونشر العلوم والمعارف وجَعلِ التّعليم الليلي إجباريا للمستخدمين الذين لم يسعفهم الحظ نهارا(69)، فوافق أسلوبه السّياسةَ الحديثة للتّربية والتّعليم.

- الإصلاح والتّربية عن طريق الصحافة: لقد كان لمجلة المنار التي أنشأها محمد رشيد رضا في مارس 1898م، دور كبير في التّربية والإصلاح، حيث نشر فيها مقالات الشّيخ محمّد عبدَه التي تهدف إلى التّربية والتّعليم، وإلى نشر الأفكار الصّحيحة، ومقاومة الجهل والتّخلف والبدع والخرافات، فذكر في افتتاحية عددها الأوّل بأنّها تعمل على الإصلاح الدّيني والاجتماعي للأمّة، وإبطال الشّبهات المثارة حول الإسلام، وتربية النّاشئة مِنَ الجنسين، وإصلاح كتب التّعليم وطريقة التّأليف، وحضّ الأمّة الإسلامية على اللّحاق بركب الأمم المتقدمة، لكنّ اهتمّامها بقضايا التّربية والتّعليم كان كبيرا لكونها أساس دعوة الشّيخ محمّد عبدَه الإصلاحية(70)، وهو ما جعل لها قرّاء كُثُر في مصر وفي خارج مصر خصوصا في بلاد المغرب الإسلامي، كالجزائر وتونس والمغرب، إلى درجة أنّ الشّيخ محمّد عبدَه لمّا زار الجزائر قبل وفاته، التمس منه علماءُ الجزائر أمثال؛ محمد بن خوجة والشّيخ عبد الحليم بن سماية أنْ يوصي صاحب المنار بعدم التعرّض في مجلته للاستعمار الفرنسي بسوء حتّى لا يَمنع دخولها إلى الجزائر(71)، ويحرمهم مِنَ الاستفادة مِنْ موضوعاتها التّربوية والإصلاحية، فهي بمثابة المدد بالنّسبة إليهم، وبانقطاعها تنتهي حياتهم، وبأنّها خير معين لهم على تحقيق الاستقلال.

وبناء على ما سبق؛ نخلص إلى أنّ الشّيخ محمّد عبدَه جمع في تربيته بين الأساليب الشّرعية وبين أساليب التّربية المعاصرة، لذلك كان له ذلك الحضور التّأثيري القوي في الأمّة، والذي كانت له مخرجات وبصمات واضحة، خرَّجت أجيالا ونخبا، صارت فيما بعد قدوة في التّربية والإصلاح والتّغيير على المستوى المحلّي المصري وعلى المستوى الإقليمي.

الخاتمـــة:

لم تُعِرِ البلاد العربية والإسلامية كبير اهتمام للتّربية والتّعليم، لهذا جعلته تعليما مهنيا يُخَرِّج موظّفين لا يحملون هَمَّ تربية المجتمع وإصلاحه، ذلك أنّ الأمّة الإسلامية اهتمّت بالشّكليات على حساب الأساسيات، وبالفروع على حساب الأصول، في مقابل الأمم الأخرى التي حملت أفكارا تربوية موصولة بعقائدها، فرغم تطورها العلمي والمادّي لم تتخلَّ عَنْ إصلاحاتها التّربية.

ولكي تنهض الأمّة الإسلامية عليها أنْ تلتزم بمرجعيتها الدّينية، وتتّبع هديه ق في تمَثُّل أساليبه في تربية الأمّة، لذلك سعت لتحقيق التّربية القويمة على الهدي النّبوي، وعلى اجتهادات أسلافها مِنَ القرون

الأولى، وكذا على فتوحات الأمم الأخرى المتطوّرة، وقد اعترضت مسيرتها التّربوية انتكاسات جعلتها تتعثّر، فأخذت تتدارك الأمر باعتماد أساليب كثيرة في التّربية؛ إمّا بالانكفاء على نفسها، أو بالذّوبان في غيرها، أو بمحاولة التّلفيق بين أساليبها التّربوية وأساليب غيرها، وإمّا باعتماد أصول تربيتها مع الاستئناس بما عند الآخر ممّا لا يتعارض وروح شريعتها، فأقام الشّيخ محمّد عبدَه أساليبه التّربوية على الخيار الأخير الذي أخذ فيه بأساليبِ التّربية الإسلامية مشفوعة بأساليب التّربية المعاصرة، لتخلص الدّراسة في النّهاية إلى **النّتائج** التالية:

- اهتمام الشّيخ محمّد عبدَه البالغ بأساليب التّربية، بإيلائه عناية كبيرة مِنْ خلال إدراجها في المؤسّسات المصرية وتضمينها في المقرّرات الدّراسية.
- جعلُهُ التّربية الإسلامية مِنْ أساسيات التّربية، وتنبيهُه للمسؤولين إلى أهميتها بإدراجها في مقرّرات وبرامج التّربية المصرية.
- تركيزُه في التّدريس على أسلوب التّربية بالقدوة الحسنة والموعظة الحسنة لتجسيد مقاصد الإصلاح التّربوي وتحقيق التّفوق الحضاري بين الأمم.
- حِرْصُه على تجسيد إصلاحاته التّربوية، بتكوين النّاشئة في ميادين التّجارة والصّناعة والصّحة والعمران وإشراكهم في العمل المهني لتحقيق التّقدم لبلدهم من خلال إشراكهم في العمل الجمعوي الخيري في المجتمع المدني.
- اهتمامُه بتربية التّلاميذ وطلبة العلم، مِنْ خلال اعتنائه بالنّماذج الجيّدة منهم، وتربيتهم على العمل وروح المبادرة والإبداع والابتكار.
- حرصُه على تربية صغار وكبار المتعلّمين على الاعتزاز بالتّراث الحضاري لأمّتهم، وتوظيفه في خدمة حاضرهم ومستقبلهم لتحقيق رقيّها وازدهارها.
- استخدامُه لأساليب تربوية خاصّة وافقت في بعضها أساليب التّربية الحديثة.
- حضّه لأمّته على العمل المؤسّساتي الذي تسير في فلكه الحضارة المعاصرة، وذلك بتوسيع وتطوير عمل مختلف الجمعيات الدّينية والخيرية والعلمية.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

أ- كتب السنّـة:

1- محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ق وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

2- مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ق، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت، د. ط).

3- ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1: 2009م.

4- أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1: 2001م.

5- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1: 1990.

6- أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م.

ب- المعاجـــم:

7- محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3: 1414هـ، ج1.

8- إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ط2، (د ت)، ج1.

9- معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، ط1: 1986، ج1.

10- رالف ن . وين، قاموس جون ديوي للتربية - مختارات من مؤلفاته، جمع وتقديم محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (د. ت، د. ط).

11- علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1: 1983م.

ج- الكتب العامّـة:

12- علي بن عوض بن علي الغامدي، أساليب التّربية العلاجية لأخطاء الطفل في السنَّة النّبوية وتطبيقاتها- رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، م ع السعودية، إشراف الأستاذ الدكتور/ السعيد محمود السعيد عثمان، العام الدراسي: 1430/1429هـ.

13- سعد عبد السلام حبيب، أسس التربية الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:1952.

14- محمد منير مرسي، التّربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، (د ط)، 2005م.

15- المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر، (د د ط ت).

16- محمد عمارة-تحقيق وتقديم-، الأعمال الكاملة للإمام الشّيخ محمّد عبدَه، دار الشّروق، بيروت القاهرة، ط1: 1993، ج1.

17-عاطف السيد، التّربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعالمها، (د. ت، د. ط).

18- ليلى عبد الرشيد عطار، آراء ابن الجوزي التربوية«دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة»، منشورات أمانة للنشر، ميريلاند، و م أ، ط1: 1998م.

19- سعيد أحمد حافظ شريدح، تقويم طرق تعليم القرآن وعلومه في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د ط ت).

20- نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشّروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3: 1998م.

21- صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النّعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ق، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، م ع السعودية، ط4، (د ت).

22- عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير س، دار الأوراق الثقافية، ط1: 1435هـ.
23- حسام الدين بن موسى عفانة، فتاوى يسألونك، مكتبة دنديس، الضفة الغربية، فلسطين، ط1: 2007م، ج2.
24- محمد كامل الفقي، الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف، (د. ت، د. ط)، ج2.
25- محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشّيخ محمّد عبدَه، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، ط2: 2006م، ج1و3.
26- محمّد فوزي عبد المقصود، الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمّد عبدَه وآلياته في تطوير التّعليم، (د. ت، د. ط).
27- حمد بن صادق الجمال، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأوّل من القرن الرابع عشر الهجري، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع الرياض، م ع السعودية، ط1، 1994م، ج1.
28- محمّد عِمارة، الإمام محمّد عبدَه مجدد الدنيا بتجديد الدين، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2: 1988م.
29- محمّد عِمارة، شخصيات لها تاريخ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، 2008م.
30- أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د. ت، د. ط).
31- قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية؛ جمال الدين الأفغاني، محمّد عبدَه، سعد زغلول، دار الكاتب العربي، (د.ت، د.ط).
32- غازي التّوبة، الفكر الإسلامي المعاصر، (د د)، ط4، 2004م.
33- زكريا سليمان بيومي، التيارات السياسية والاجتماعية بين المجدّدين والمحافظين- دراسة تاريخية في فكر الشّيخ محمّد عبدَه، إشراف الدكتور: يونان لبيب رزق، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، طبعة: 1983.
34- عاطف عراقي، الشّيخ محمّد عبدَه مفكرا عربيا ورائدا للإصلاح الدّيني والاجتماعي - بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره-، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، طبعة: 1995م.
35- محمد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح، الأزهر في ألف عام، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط3، 2009م، ج3.
36- عباس محمود العقاد، عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمّد عبدَه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، مصر طبعة: 2013.

د- المجـلّات:

37- ياسمينة كتفي، أساليب تربية الطفل في الأسرة من منظور الإسلام، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، السنة2021، المجلد18، العدد1.
38- مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، (د د ط ت)، ج137.
39- محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مطبعة المنار 1905، ط2، مج1.

هـ- النّدوات والملتقيـات:

40- أعمال ومناقشات النّدوة الفكرية بمكتبة الإسكندرية(4-2005/12/5م)، الإمام محمّد عبدَه مائة عام على رحيله، تحرير: إبراهيم البيومي غانم وصلاح الدين الجوهري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1: 2009م.

الهوامش:

(1) أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م، ج3، ص92، مادة: (س ل ب).

(2) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقى، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3: 1414هـ، ج1، ص473، مادة: (سَلَبَ).

(3) إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وآخرون، المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ط2، (د ت)، ج1، ص441، مادة: (سَلَبَ).

(4) علي بن عوض بن علي الغامدي، أساليب التّربية العلاجية لأخطاء الطفل في السنَّة النّبوية وتطبيقاتها- رسالة ماجستير، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، م ع السعودية، إشراف الأستاذ الدكتور/ السعيد محمود السعيد عثمان، العام الدراسي: 1430/1429هـ، ص163.

(5) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ق، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د ط ت)، ج4، ص1988، كتاب: البرّ والصّلة والآداب، باب: في فضل الحبّ في الله، حديث رقم: 38.

(6) ابن منظور، لسان العرب، ج1، ص399و401. [مادة: رَبَبَ].

(7) المجلس الأعلى للشّؤون الإسلامية، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة، مصر، (د د ط ت)، ص129.

(8) رالف ن. وين، قاموس جون ديوي للتربية - مختارات من مؤلفاته، جمع وتقديم محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، (د ط ت)، ص56.

(9) معن زيادة، الموسوعة الفلسفية العربية، معهد الإنماء العربي، ط1، 1986، ج1، ص249.

(10) سعد عبد السلام حبيب، أسس التربية الحديثة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط:1952، ص36، وينظر: ياسمينة كتفي، أساليب تربية الطفل في الأسرة من منظور الإسلام، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، السنة 2021، المجلد 18، العدد1، ص86.

(11) محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشّيخ محمّد عبدَه، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، مصر، ط2: 2006م، ج2، ص469و470، وينظر: محمّد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمّد عبدَه، دار الشّروق، القاهرة، ط1: 1993م، ج3، ص168.

(12) محمّد فوزي عبد المقصود، الفكر التّربوي للأستاذ الإمام محمّد عبدَه وآلياته في تطوير التّعليم، ص 43- 45.

(13) عاطف السيد، التّربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعالمها، (د د ط ت)، ص9.

(14) مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، (د د ط ت)، ج137، ص139.

(15) ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1: 2009م، ج1، ص151، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم: 224.

(16) أخرجه ابن ماجه في سننه، ج1، ص81، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم: 223.

(17) عاطف السيد، التّربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعالمها، ص 10و11.

(18) محمد منير مرسي، التّربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، (د ط)، 2005م، ص79- 86.

(19) ليلى عبد الرشيد عطار، آراء ابن الجوزي التربوية «دراسة وتحليلا وتقويما ومقارنة»، منشورات أمانة للنشر، ميريلاند - وم أ، ط1: 1998م، ص578.

(20) عاطف السيد، التّربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعالمها، ص53و54.

(21) سعيد أحمد حافظ شريدح، تقويم طرق تعليم القرآن وعلومه في مدارس تحفيظ القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (د ط ت)، ص17.

(22) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1: 2001م، ج41، ص148، باب: مسند الصديقة عائشة بنت الصديق س، حديث رقم: 24601.

(23) حمد بن صادق الجمال، اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر في النصف الأوّل من القرن الرابع عشر الهجري، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع الرياض، م ع السعودية، ط1، 1994م، ج1، ص248.

(24) محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشّيخ محمّد عبدَه، ج1، ص808.

(25) محمّد عِمارة، الإمام محمّد عبدَه مجدّد الدنيا بتجديد الدّين، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2: 1988م، ص41.

(26) محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشّيخ محمّد عبدَه، ج1، ص807.

(27) قدري قلعجي، ثلاثة من أعلام الحرية؛ جمال الدين الأفغاني، محمّد عبدَه، سعد زغلول، دار الكاتب العربي، (د ط ت)، ص249.

(28) عاطف السيد، التربية الإسلامية أصولها ومنهجها ومعالمها، ص55و56.

(29) نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشّروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3: 1998م، ص143.
(30) صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النّعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ق، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، م ع السعودية، ط4، (د ت)، ج1، ص140و141.
(31) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، أبو بكر، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م، ج10، ص323، كتاب: الشهادات، باب: بيان مكارم الأخلاق ومعاليها، حديث رقم: 20782.
(32) أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د ط ت)، ص 318- 320.
(33) غازي التّوبة، الفكر الإسلامي المعاصر، (د د)، ط4، 2004م، ص65و66.
(34) عدنان بن سليمان بن مسعد الجابري، آداب الحوار من خلال سيرة مصعب بن عمير س، دار الأوراق الثقافية، ط1: 1435هـ، ص50-52.
(35) أخرجه مسلم في صحيحه، ج4، ص2164، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: مثل المؤمن مثل النّخلة، حديث رقم: 63.
(36) محمد منير مرسي، التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ص10.
(37) أخرجه مسلم في صحيحه، ج4، ص1997، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، حديث رقم: 59.
(38) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، ص739.
(39) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، ص736و737.
(40) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، ص734.
(41) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، ص743.
(42) علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1: 1983م، ص288.
(43) محمد كامل الفقي، الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف، (د ط ت)، ج2، ص184و185.
(44) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، ص738.
(45) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، ص732و733.
(46) أخرجه ابن ماجه في سننه، ج1، ص151، باب: فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم: 224.
(47) محمّد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، ص103.
(48) محمّد فوزي عبد المقصود، الفكر التّربوي للأستاذ الإمام محمّد عبدَه، ص225.
(49) أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص318.
(50) حمد بن صادق الجمال، اتجاهات الفكر الإسلامي في مصر، ج1، ص250.
(51) محمّد عِمارة، الإمام محمّد عبدَه مجدد الدنيا بتجديد الدين، ص44.
(52) عبد الله مبروك النجار، فتاوى الإمام محمّد عبدَه دراسة فقهية تأصيلية، ضمن كتاب أعمال ومناقشات النّدوة الفكرية مكتبة الإسكندرية(4-2005/12/5م)، الإمام محمّد عبدَه مائة عام على رحيله، تحرير: إبراهيم البيومي غانم وصلاح الدين الجوهري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ط1: 2009م، ص501، وينظر: حمد بن صادق الجمال، اتجاهات الفكر الإسلامي، ج1، ص239.
(53) غازي التّوبة، الفكر الإسلامي المعاصر، ص17.
(54) أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص 325.
(55) محمّد عِمارة، الإمام محمّد عبدَه مجدد الدنيا بتجديد الدين، ص 32.
(56) عباس محمود العقاد، عبقري الإصلاح والتعليم الإمام محمّد عبدَه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر، القاهرة، مصر طبعة: 2013، ص119.
(57) محمد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح، الأزهر في ألف عام، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط3، 2009م، ج3، ص70.
(58) محمد عبد المنعم خفاجي وعلي علي صبح، الأزهر في ألف عام، ج3، ص70.

(59) محمّد عِمارة، شخصيات لها تاريخ، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2008م، ص191.

(60) عبد الله مبروك النجار، فتاوى الإمام محمّد عبدَه دراسة فقهية تأصيلية، ص501، وحمد بن صادق الجمال، اتجاهات الفكر الإسلامي، ج1، ص 526- 528.

(61) عاطف عراقي، الشّيخ محمّد عبدَه مفكرا عربيا ورائدا للإصلاح الدّيني والاجتماعي -بحوث ودراسات عن حياته وأفكاره، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، طبعة: 1995م، ص85.

(62) عبد الله مبروك النجار، فتاوى الإمام محمّد عبدَه دراسة فقهية تأصيلية، ص 503- 508.

(63) مجدي سعيد، الإمام الشّيخ محمّد عبدَه والجمعيات الأهلية، ضمن كتاب أعمال ومناقشات النّدوة الفكرية بمكتبة الإسكندرية (4- 2005/12/5م)، الإمام محمّد عبدَه مائة عام على رحيله، تحرير: إبراهيم البيومي غانم وصلاح الدين الجوهري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1: 2009م، ص702- 704.

(64) محمّد عِمارة، شخصيات لها تاريخ، ص191.

(65) زكريا سليمان بيومي، التيارات السياسية والاجتماعية بين المجدّدين والمحافظين- دراسة تاريخية في فكر الشّيخ محمّد عبدَه، إشراف الدكتور: يونان لبيب رزق، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، طبعة: 1983، ص114.

(66) سعيد إسماعيل علي، الإصلاح التّربوي عند محمّد عبدَه، ضمن كتاب أعمال ومناقشات النّدوة الفكرية بمكتبة الإسكندرية (4- 2005/12/5م)، الإمام محمّد عبدَه مائة عام على رحيله، تحرير: إبراهيم البيومي غانم وصلاح الدين الجوهري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط1: 2009م، ص669.

(67) محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام الشّيخ محمّد عبدَه، ج1، ص807.

(68) سعيد إسماعيل علي، الإصلاح التربوي عند محمّد عبدَه، ص658و659.

(69) محمد فوزي عبد المقصود، الفكر التربوي للأستاذ الإمام، ص 170.

(70) محمد رشيد رضا، مجلة المنار، مطبعة المنار 1905، مج1، ط2، دون، ص1-8.

(71) محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام، ج1، ص781.